

فروا في كتاب الله

## آداب السلوك

للاستاذ محمد عبد الله السمان

إن للمجتمع تقاليده ، وللسلوك آدابه ، وهذه التقاليد والآداب احترامها وإجلالها ، ولا يحاول الشذوذ عنها إلا أولئك الذين نكبوا بقصور في عقولهم ، وسقم في ألبابهم ، دعوتهم في تفكيرهم

وتربية القرآن النفس على مراعاة تقاليد المجتمع وآداب السلوك فيه تقدير وإكبار له - ولا جدال في أن المصعب لآخذ منك مأخذه حين ترى القرآن يلم بهذه الآداب دون أن يتأدر منها صغيرة ولا كبيرة ، محاولاً صقل النفس بالذوق السليم وطبعها بالطابع الحمود

فالجالسون يجب عليهم أن يتفحصوا في المجالس ليجلس القادمون ، وينهضوا وقوفاً إذا لم يكن هناك أما كن الجلوسهم ، لأن الذوق السليم والمروءة تقتضيان هذا ونهتانه عليهم : «يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم ، وإذا قيل انشزوا فانشزوا ، يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ... »

والزائرون يجب عليهم الاستئذان قبل الدخول ، والتسليم إذا أذن لهم - كما يجب عليهم المبادرة بالرجوع من حيث أتوا إذا لم يجدوا أحداً ، أو وجدوا ولكن لم يؤذن لهم ، وذلك أسون لكبرائهم وشعورهم ، وأكرم لشرفهم ومروءتهم :

«يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتنا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ، ذلكم خير لكم لئلا تذكروا - فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ، وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا ، هو أذكى لكم ، والله

(١) مواصلة البحث التي ندرت بما على صفحات الرسالة الفراء إلى نهاية العدد ٥٠٩ من السنة الثانية عشرة

عما تعملون عليهم »

والخدم والأطامل يجب أن يكون لاختلاطهم بالنساء والفتيات حد داخل البيوت ، وإن كانت المصلحة تقتضيه ، فأوقات النهوض من الفراش ، والإيواء إليه أوقات دقيقة قد تكون كل من المرأة والفتاة فيها بحالة لا يحسن رؤيتها عليها :

«يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات : من قبل صلاة الفجر ، وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ، ومن بعد صلاة العشاء ، ثلاث عورات لكم ، ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن ، طوافون عليكم بعضكم على بعض ، كذلك بين الله لكم الآيات والله عليم حكيم »

ويصيب القرآن سلوك الذين يتهاونون في مروءتهم ، ويتعابلون في أن يدعوا إلى الموائد ، فترام يترصبون بالأطعمة ، فإذا ماتم نضجها تملقوا بالزيارة وغيرها ، وأسهموا في تناولها . وليتهم يقفون عند هذا الحد ؛ ولكنهم يأبون إلا أن يقاسروا أهل البيت أرقامهم مستبدين بها ، غير مباليين بأن في هذا إيذاء لهم وإهانة لأنفسهم :

«يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ؛ ولكن إذا دعيتم فادخلوا ، فإذا طعمتم فانتشروا ، ولا مستأنسين لحديث . إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم ، والله لا يستحي من الحق .. »

وليس من أدب السلوك ولا من حسن التصرف أن يأتي الإنسان البيت من ظهريه ، فإن في هذا قلباً للأوضاع ولا أن يتأذى أهل المنزل من وراء الحجرات ، فإن فيه إحراجاً لشعورهم واستخفافاً بأقدارهم : «وأتوا البيوت من أبوابها - إن الذين يتنادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ، ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم . »

ومن الفظاظة التي يعجزها الذوق السليم أن لا يحترم المرء من يكبره مقاماً أو سناً أو علماً ، فيرفع صوته فوق صوته ، ويتأديه مناداة فيها كثير من التهاون ، كما يتأذى إنساناً عادياً :

«يا أيها الذين لا ترفدوا أصواتكم فوق صوت النبي ، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبسط أعمالكم وأنتم

يفادونه بالألقاب التي تسمى إلى نفسه وإنسانيته :

« يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب ، بشئ الاسم الفسوق بعد الإيمان ، ومن لم يقب فأولئك هم الظالمون .. »

والأخوة الإنسانية تفرض على الإنسان تحية أخيه عند لقائه كما تفرض على الآخر رد التحية بخير منها ، أو على الأقل بمثلها .. وذلك ضمان لبقاء الرابطة متينة قوية :

« وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ، إن الله كان على كل شيء حكيماً »

القائمة — ( للحديث صلة ) محمد عبد الله السمان

لاتسرعون ، إن الذين يفضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ؛ لهم مغفرة وأجر عظيم — لا تجملوا دعاء الرسول بديكم كدعاء بعضكم بعضاً . »

ومن الفوضى أن يتهاون الإنسان في آداب الاجتماعات ، ومن أم آداب الاجتماعات الاستئذان من الرئيس ، والشذوذ عن الإجماع ، وانتهاز غفلة الرئيس للهرب من القاعة متسللاً ، ولا سيما في الاجتماعات الهامة التي تتعلق بشؤون الأمة وحياتها :

« إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ، إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله ، فإذا استأذونك لبعض شأهم فأذن لئن شئت منهم — قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لوأذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم »

وللحديث آداب يجب أن تقدر ، والاستهانة بها مما يجعل المستهين مهيناً في نظر الناس . وليس من آدابه في شيء أن يأخذ بعض الجالسين جانباً من المجلس ، فيتحدثوا فيما شاءوا أن يتحدثوا ، فتدب الفوضى في الحديث ، كما يدب القلق في نفوس الكثير :

« إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا ، وليس بضارهم شيئاً إلا باذن الله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون »

وسأهون أولئك الذين لا يؤمنون بآداب السلوك في الشارع ، فإذا سار أحدهم أمال خده تكبراً ؛ وإذا مشى اختال في خطواته عجباً ، ولم يقصد في مشيه ولم يفضض من سوته :

« إنك لن تحرق الأرض ولن تبلغم الجبال طولاً — ولا تنصر خدك للناس ولا تأس في الأرض مرحاً ، إن الله لا يحب كل مختال فخور ، واقصد في مشيك واغضض من صوتك ، إن أنكر الأصوات لصوت الحجر »

وما أعجب أولئك الذين لم ينفذوا بآداب الأخوة الإنسانية وخيل إليهم أنهم فوق الناس وأسمى منهم ، وهان عليهم أن يسخروا من البعض ، ويميبوه ويستخفوا به حتى في مناداته ، فترام

## مطبوعات المجمع العراقي

تاريخ العرب قبل الإسلام

أوسع كتاب في تاريخ العرب قبل الإسلام

جمع من الكتابات العربية الجاهلية ومن

النصوص الكلاسيكية والتوراة والتلذود

تأليف الدكتور

جواد علي

طبع عام ١٩٥١